الحبشة

بين القديم والحديث

للأستاذ الدكتور

مراد كامل

أستاذ اللغات السامية وآدابها بكلية الآداب ، جامعة القاهرة

الحبشة

بين القديم والحديث [1]

للأستاذ الدكتور

مراد كامل

أستاذ اللغات السامية وآدابها بكلية الآداب . جامعة القاهرة

---

(١) محاضرة ألقيت بدار الجمعية الجغرافية المصرية يوم ٤ مارس ١٩٥٩ .

الحبشة بين القديم والحديث

أثيوبيا: لفظة يونانية Aithiopia وهي مركبة في اليونانية من Opsis أي وجه وفعل Aithō أي حرق ومعناها صاحب الوجه المحروق أو صاحب الوجه ذو اللون الأحمر القاتم أو الأحمر البنى ، وسميت البلاد باسمها أي بلاد أصحاب الأوجه الحمراء البنية .

ذكر كثير من الكتاب القدماء بلاد أثيوبيا منهم هوميروس وهيرودوت واسترابون وديودور الصقلي وبليني ، وكانوا يذكرونها بطريقة تدل على أن موقعها معروف لديهم ، ولكن لم يصف لنا أحد منهم حدودها .

يقول هوميروس في الأوديسى (١:٢٢ — ٢٤)
« ولكن الاله كان بعيدا ، فقد ذهب إلى الاثيوبيين .
إلى طرف المعمورة حيث الحد الذى يسكنه الناس .
أثيوبيا التى تنقسم إلى قسمين : جهة الغرب وجهه الشرق .
ثم يقول في الالياذة (١:٤٢٣ — ٤٢٥)
« لأن زيوس ذهب البارحة .
إلى الاوقيانوس عند الاثيوبيين ليأكل .
ولكنه سيعود في اليوم الثانى عشر إلى أوليمبوس .

وهذا يدل على أن هوميروس كان يعتقد بوجود اثيوبيين في الشرق واثيوبيين في الغرب ،وأن بلادهم تقع بالقرب من الاوقيانوس ، بعيدة إلى الجنوب من بلاد اليونان .

ويذهب هيرودوت(III, 114) إلى أن أثيوبيا تقع في الجنوب حيث تغيب الشمس ، وأنها آخر أرض مسكونة في العالم في هذا الاتجاه ، ويزعم أن هناك ذهب كثير وفيلة وجميع أنواع الاشجار الوحشية والأبنوس ، وأن الإنسان هناك أعلى قامة وأبهى طلعة وأطول عمراً منه عن أى مكان آخر

فى العالم. وذكر هيرودوت (٧و٧٠) الكاسيين من سكان ما بين النهرين تحت اسم اثيوبيا، ووصف الجندمن الاثيوبيين الأسيويين فى جيش أجزرسيس وفرق بينهم وبين الاثيوبيين الافريقيين .

ويقول فى موضع آخر من الجزء الثالث من تاريخه (III,97) ما تبين منه أنه كان يعتبر اثيوبيا من آسيا كجزء من الهند .

ويصف استرابون اثيوبيا فى الفقرة الثامنة من كتابه السادس عشر (XVI,4) ويعتبرها جزءا من مصر ويذكر أنها تقع فى الجنوب من مصر .

ويجعل بلينى المسافة بين أول منطقة فى أثيوبيا وبين مصر تبلغ ٢٤٦ ميلا جنوبى أسوان (Hist. Nat. VI, 35)

ومن هذا نرى أن هوميروس وهيرودوت أطلقا كلمة أثيوبيين على كل سكان السودان ومصر وبلاد العرب وفلسطين وغرب آسيا والهند وأن أسترابون وبلينى قصرا هذه التسمية على سكان شمالى وادى النيل وجنوبيه.

ويقول بلينى أن مملكة مروى تقع جنوبى الايفونيميين وأن كل هذه البلاد تسمى أولا Aetheria ثم Atlantia ثم Aethiopia ويقول أن هذا الاسم الأخير اشتق من Aethiops ابن Vulcan (VI, 30)

ومما لا شك فيه أن الكتاب القدماء أطلقوا على كل الشعوب السمر الوجوه أو السود سواء أكانوا يسكنون السودان أو غربى آسيا أو الهند لفظة أثيوبيا . ولذلك لا ندهش حين نعرف أن الكتاب القدماء لم يحددوا أثيوبيا جغرافيا .

أما الكتّاب الساميون فكانوا على معرفة أدق بموقع أثيوبيا عن كتّاب اليونان ، وقد حددوا مكانها بأنها جزء من وادى النيل وسموها كوش وبهذا الإسم عرفت فى النقوش المصرية القديمة وفى النقوش البابلية والآشورية. وقد ورد اسمها فى رسائل تل العمارنة من القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وذكرها الملك الآشورى أشوربانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق م) كجزء من

مصر . وكانت كوش فى القرن السابع قبل الميلاد تمتد إلى شمال الشلال الرابع . وقـــد ذكرها دارا الأول فى نقشه وكانت تؤلف مديرية من مديريات امبراطوريته .

وترجمت كلمة كوش فى النصوص اليونانية بأثيوبيا . وبهذه التسمية ظهرت فى الترجمة السبعينية للكتاب المقدس (وضعت فى عهد بطليموس فيلادلفوس (٢٨٥ — ٢٤٦ ق م) وورد ذكر كوش فى العهد القديم :

ذكرها سفر التكوين (١٠ : ٦-٨) وأخبار الأيام الأول (١ : ٨-١٠) على أنها من أولاد حام وأن أخوتها : مصرايم وفوط وكنعان وأنها تتكون من خمسة شعوب هم سبأ وحويلة وسبته ورعمة وسبتكا ، ومن رعمة خرج شبا وددان (تكوين ١٠ : ٧ — ٢٠ . أخبار الايام الأول ١ : ٩ — ١٦) ويذهب سفر التكوين وأخبار الايام الأول إلى أن مكانها كان فى جزيرة العرب وعلى الساحل الشرقى لافريقيا وتذكرها المزامير (٦٨ : ٣١) وأشعيا (٢٠ : ٣ — ٥) وحزقيال (٣٠ : ٤) ودانيال (١١ : ٤٣) وناحوم (٣ : ٩) على أنها مرتبطة بمصر .

ويذكرها أخبار الأيام الثانى (١٦ : ٨) على أنها مرتبطة بليبيا .

ويذكرها أشعيا (١١ : ١١) ، وحزيقال (٢٩ : ١٠) على أنها تقع جنوبى أسوان . وهى لابد كانت منطقة فى أفريقيا تمتد من جنوب أسوان ، وتشمل النوبة والسودان وكردفان وسنار وشمال الحبشة الحالية .

وذكر العهد القديم أنهار أثيوبيا (أشعيا ١٨ : ١ ، صفنيا ٣ : ١٠) وهى على الأغلب النيل الأبيض والنيل الأزرق والعطبرة وتكازى .

وذكر فى سفر أيوب (٢٨ : ١٩) ياقوت كوش الأصفر .

وذكر أشعيا (٤٥ : ١٤) أن سكانها طوال القامة كما ذكر أرميا (١٣ : ٢٣) أن لون بشرتهم أسود .

وذكر أشعيا (٤٥ : ١٤) أن الكوشيين كانوا ينقلون التجارة ويبيعون حاصلاتهم فى البلاد الأجنبية ويجمعون من وراء ذلك ثروة كبيرة .

وذكر سفر أخبار الأيام الثانى (١٤ : ٩ — ١٥ ، ١٦ : ٨) أن الأثيوبيين بقيادة زارح ومعه جيش يبلغ المليون وثلاثمائة مركبة حربية هاجموا بلاد يهوذا فهزمهم الملك آسا .

وكانت الأسرة الخامسة والعشرون فى مصر أسرة أثيوبية التحم أحد ملوكها ترهاقة مع سنحاريب ملك أشور فى معركة ذكرها سفر الملوك الثانى (١٩ : ٩) وأشعيا (٣٧ : ٩) .

وتنبأ أشعيا (٢٠ : ١ — ٦) وصفنيا (٢ : ١٢) بزوال أثيوبيا ، بينما تنبأ صاحب المزامير بأن أثيوبيا ستسلك طريق الرب (مزامير ٦٨ : ٣١ ، ٨٧ : ٤) .

وذكرت أعمال الرسل اعتناق الخصى الأثيوبى وزير كنداكة ملكة أثيوبيا المسيحية على يد فيلبس (أعمال الرسل ٨ : ٢٦ — ٤٠) .

هذا ولا نعرف على وجه التحقيق متى بدأ الأثيوبيون فى إطلاق اسم أثيوبيا على بلادهم ، ولكننا نعرف من أقدم التراجم الأثيوبية للكتاب المقدس فى القرن الخامس أو السادس الميلادى أنها استخدمت كلمة أثيوبيا. أما اسم بلادهم فى اللغة الحبشية فكان بحير جعز أى أرض الهجرة أو بحير أجعازى أى أرض المهاجرين . أو الأحرار وهى الأرض التى هاجروا اليها من بلاد اليمن .

الحبشة :

أما الحبشة فهى التسمية التى عرفها العرب ونطلقها الآن على ما يختص بهذه المنطقة من جغرافيا طبيعية وجنسية ولغوية وما إلى ذلك .

وتطلق لفظة أثيوبيا على هذا الجزء من العالم وعلى ما يختص بها من الناحية السياسية ويطلق الأوروبيون على لغتهم القديمة الأثيوبية أيضاً .

ولفظة حبشة وهى اسم قبيلة (حبشت) يمنية ، وربما كانت أكثر القبائل التى هاجرت إلى الحبشة أهمية . حدث ذلك قبل الميلاد بعدة قرون ، وعرفت منذ ذلك الوقت فى الشرق بهذا الإسم ، ومنها الصيغة فى اللغات الأوربية Abyssinia وقد اثبت كونتى روسينى ان مهد هذه القبيلة كان فى اليمن
(Sugli Habashat, in Rendiconti della R. A. dei Lincei, Roma, 1906)
ووردت فى نقش سبأى ، عثر عليـــه فى حصن الغراب باليمن كلمة ح ب ش ت (حبشت) وفيها جمع سكانها على اح ب ش (احباش) .
(C. Conti Rossini, Chrest. arab. merid. p. 77, Roma, 1931)

ويسمى الأحباش ارضهم اثيوبيا منذ اعتناقهم المسيحية فى القرن الرابع ، ويشعرون بامتعاض فى تسميتهم بالأحباش وفى تسمية ارضهم بالحبشة ، لأن اثيوبيا هى ترجمة يونانية للفظ كوش ، وكان لها سلطان وحضارة ، وذكرها الكتاب المقدس ، وفى ذلك صلة بالقديم .

مداخل الحبشة :

الحبشة هضبة عالية مستديرة الشكل يبلغ متوسط ارتفاعها ٢٥٠٠ م عن سطح البحر ، والمنظر السائد فيها هو المرتفعات المستوية التى تبرز فى وسطها القمم العالية والتى تصل إلى ٥٠٠٠ أو ٦٠٠٠ م . وتشق الهضبة أنهار معظمها ضيق عميق يصل عمق بعضها كما فى حالة النيل الأزرق إلى ١٥٠٠ م ، وفيها من هذا النوع منابع العطبرة التى تبدأ شمال بحيرة طانا والنيل الأزرق وفرعاه رهد ودندر ، ومنابع السوباط وكلها تتجه إلى الغرب ، علاوة على منابع أنوار الجاش وبركة اللذان يتجهان إلى الشمال ، وأواش الذى يتجه

إلى الشرق ، وجوبا وونى شبيلى اللذان يتجهان إلى الجنوب الشرقى ، ثم الأومو الذى يصب فى بحيرة رودلف فى الجنوب الغربى .

ولما كانت السهول المنخفضة تحيط بالهضبة من جميع الجهات . كانت الطرق التى تؤدى إلى الهضبة قليلة ، وأهمها :

١ — طريق يبدأ من كسلا ويسير محاذياً الهضبة من الشمال حتى يصل سينافى ومنها إلى أسمرة عاصمة أريتريا ، ثم إلى الجنوب موازياً لحافة الجبال الشرقية التى تحف بمجرى النيل الأزرق الأعلى .

٢ — طريق يسير محاذيا لمجرى نهر دندر إلى طرف هضبة جود چام الشمالى إلى دبرامرقص ثم يعبر النيل الأزرق إلى أقليم شوا . وفى هذا الطريق سارت الحملة الحربية التى قادها الامبراطور سنة ١٩٤١ ليسترد بلاده من الايطاليين .

٣ — طريق شرقى يسير محاذاة نهر أواش حتى هضبة شوا .

٤ — طريق جنوبى يأتى من كينيا موازيا للأخدود الأفريقى .

وهذه هى أهم الطرق التى كانت تخترقها القوافل فى العصور الوسطى فقد كان الطريق الأول يكوّن الجزء الجنوبى من طريق القوافل الذى يبدأ من عيذاب ، وهو الطريق الذى كانت تخترقه التجارة المصرية بعد أن تحملها السفن إلى قوص ومنها إلى عيذاب فالحبشة .

كما كان الطريق الثانى هو الذى يستخدمه تجار الفونج .

أما الطريق الثالث فكان يرتاده التجار الذين ينزلون شرقى الحبشة ويتخذون من زيلع مركزاً لتجارتهم .

وأما الطريق الرابع فكان يستخدمه تجار الرقيق النازلين فى شرق افريقية .

ويمكن الوصول إلى الحبشة فى الوقت الحاضر عن طريق بحرى يبدأ

من السويس ، وينتهى إلى مصوع أو عصب أو جيبوتى . ويربط مصوع بالعاصمة أديس أبابا طريق برى كان الأيطاليون قد مهدوه ، والمسافة بين أسمرة وأديس أبابا ١١٠٠ كيلو متر تقطعها السيارات فى نحو ثلاثة أيام .

اما عصب فتقوم حالياً شركة يوغوسلافية ببناء ميناء حديث بها ، كما تمهد الطريق بينها وبين اديس ابابا ، وقد كان الطريق قبل ذلك فى حالة سيئة ، قاصراً على تصدير المواشى ، إلا ان ارتفاع نسبة ماينفق منها فى الطريق ، حد من هذه التجارة .

وكان الايطاليون قد فكروا فى مد خط حديدى يربط أديس أبابا بعصب عن طريق « ديسى » ، ولكن هذا المشروع لم ينفذ .

وتعتبر « عصب » الميناء الطبيعية للحبشة على قدر « مصوع » و « جيبوتى » ولكن وجود الخط الحديدى بين أديس أبابا وجيبوتى كان سببا فى ضعف ميناء « عصب » . ومع ذلك احتفظت بأهميتها فى الاتجار مع اليمن . فهى ميناء للمراكب الشراعية . وفى عصب ملاحات كبيرة . وسيكون لعصب مستقبل تجارى لقربها من بلاد العرب ومن « عدن » ومن منطقة « الأوسا » ومن « الوللوجالا » .

أما جيبوتى فيربطها بأديس أبابا خط حديدى يبلغ نحوا من ٧٩٩ كيلومتر يقطعها المسافر فيما يقرب من أيام ثلاثة ، ويبرحها القطار ثلاث مرات كل أسبوع .

وهناك علاوة على ذلك طريق نهرى يصل بين الخرطوم وميناء جمبلا على السوباط ومنها إلى جورى (على السوباط أيضاً) ثم لكمتى فأديس أبابا . والجزء الأول من هذا الطريق (جورى — لكمتى) ما زال فى حالة سيئة وكان الخشب أكثر ما ينقل عليه ويشق هذا الطريق أغنى أقاليم الحبشة خصبا مثل أقليم الأروسى وكافا وولجا ، وهى أقاليم الحبوب والبن والاخشاب ، ويقطعه المسافر فى أسابيع ثلاثة وللحكومة الاثيوبيه فكرة مد خط حديدى

يصل بين أديس أبابا والسودان . وهذا إذا كتب له النجاز فانه يهيء فرصة نافذة لتبادل التجارة .

اقتصاديات تعنينا :

تتوسط الهضبة بحيرة طانا التى يذكرها الجغرافيون على أنها منبع النيل الأزرق . وأن كان هذا القول يجانب الحقيقة إلى حد كبير فالمياه التى تجرى فى النيل الأزرق فى غير فصل المطر لاتزيد على عشرة فى المائة، وأن مايجرى فيه خلال فصل المطر مصدرة مئات الجداول التى تنحدر إلى هذا النهر من المرتفعات التى تحف به . وفى خلال هذا الفصل تقف مياه البحيرة عن الانحدار فى النهر وقفا يكاد يكون تاما لضعفها النسبى أمام تيار المياه المتدفقة من الأمطار .

وهذا هو السبب أن فكرت مصر والسودان واثيوبيا فى الافادة من هذه المياه ببناء خزان على مدخل البحيرة يخزن مياهها طيلة فصل المطر . والبحيرة تقع على ارتفاع ١٨٤٠ متر فوق سطح البحر . وهى على شكل قلب طوله ٨٥ كيلومترا من الشمال إلى الجنوب وعرضه ٦٥ كيلومتر من االشرق إلى الغرب . ومساحة سطح الماء فى البحيرة حوالى ٣٦٣٠ كيلومتر مربع . وتبلغ مساحة حوضها حوالى سبعة عشر ألفا من الكيلومترات المربعة وهو صغير نوعا . ومنطقة البحيرة غزيرة بأمطارها . ويصب فيها من المرتفعات المحيطة بها نحو ستين جدولا ونهيراً ، أهمها أبَّـاى الصغير . وهى تحمل معها طبقة من الغرين تتركها على جوانب البحيرة بعد انقضاء موسم الأمطار . وأما منطقتها فبركانية ، بها بعض عيون معدنية ، وقد وجد الفحم فى جنوبها الشرقى وشمالها ، كما عثر على الحديد فى شرقها .

أن أقامة سد عند مدخل البحيرة أو منبع النيل الأزرق منها سيجعل من البحيرة خزانا يحتفظ وراءه بكمية من المياه تتجمع فى الفجوة الطبيعية المحيطة بالبحيرة . ولن يضر ارتفاع الماء فى البحيرة إلا بعض الكنائس والديارات الموجودة فى بعض الجزر .

وكان المقترح أن يرفع السد مستوى الماء فى البحيرة من مترين إلى خمسة ، وترتفع كمية المياه من ستة مليارات من الأمتار المكعبة إلى أربعة عشر ونصف مليار يستفاد منها بنحو ١٢ مليار من الأمتار المكعبة ، أى ثلاثة أضعاف ما نحتفظ به فى خزان أسوان تقريبا . وتحجز المياه فى موسم الأمطار من شهر يونية إلى شهر سبتمبر وتصرف بحسب الحاجة فى أشهر الانخفاض الثمانية .

وستكون الفائدة المباشرة لهذا المشروع زيادة الأراضى المزروعه فى السودان ومصر زيادة كبيرة . وكذلك يمنع حجز مياه البحيرة فى موسم الأمطار خمسة فى المائة على الأقل من مياه الفيضان .

وقد رأت الحكومة الأثيوبية أن تنفيذ المشروع سيعود عليها بالفائدة . فانه من الناحية الصحية سيقضى ارتفاع الماء على المستنقعات المنتشرة هناك والتى تعتبر موطن جراثيم الملاريا . كما سيسبب تصريف المياه الكشف عن منطقة واسعة حول البحيرة مغطاه بالغرين صالحة للزراعة ، وسيعم الرخاء جميع أهالى المنطقة نتيجة لما سيصرف من المال فى دفع أجور العمال ووسائل النقل ، ثم استنباط الكهرباء التى يستفيد منها الجزء الأوسط من الهضبة .

ولكن مصر أخذت تصرف النظر عن هذا المشروع بعد أن نشأت فكرة السد العالى الذى سوف يزودها بالماء لا فى مدة التحاريق فحسب بل لسنين عديدة متوالية . ويبدو أن انصراف الحكومة المصرية عن المساهمة فى هذا المشروع جعل الحكومة الأثيوبية تفكر فى مشروعات أخرى من أجل استنباط الكهرباء من المساقط العديدة بها . فقد اتخذت الخطوات العملية من أجل إنشاء سد « كوكا » على أحد أفرع نهر أواش ورصدت له فعلا عشرة مليون دولار أثيوبى من تعويضات الحرب التى تسلمتها من إيطاليا وينتهى العمل منه فى سنة ١٩٦١ وسيزود البلاد بقوة كهربائية تبلغ عشرة آلاف كيلووات فى الساعة .

وتعنى مصر فى الوقت الحاضر بما تبذله الحكومة الأثيوبية من جهود فى سبيل رفع الإنتاج فى مختلف الميادين الزراعية والصناعية .

فالجهود تبذل فى غرب البلاد من أجل زراعة المطاط وإلى زيادة الرقعة الزراعية التى تزرع قمحاً وإلى تحسين زراعته نوعاً وكما . وكذلك من أجل تحسين زراعة البن ثم تنقيته ، ومعظم ما تنتجه الحبشة حالياً من بن كافا وهو يصدر إلى هرر حيث يخلط بينها ذى السمعة الجيـــدة ، ثم يصدر إلى عدن حيث تحمله السفن إلى العالم الخارجى باسم بن يمنى . وهناك أيضاً إعداد كبيرة من المواشى (الخراف والبقر) وهى صالحة للتصدير إلى الخارج ويكون ذلك أما بتصديرها حية ، وفى هذه الحالة تحتاج إلى ترتيبات خاصة من أجل وسائل نقلها وضبط أوقات وصولها مع السفن التى تنقلها ، وأما نقلها مذبوحة وهذه تحتاج إلى ثلاجات كبيرة تضمن وصولها إلى مقاصدها فى حالة جيدة ، ويترتب على تجارة المواشى تجارة الجلود علاوة على دبغها وصناعتها ، وهى كلها عمليات تستطيع كل من أثيوبيا ومصر الاستفادة منها على أساس من التعاون .

لعل لأخشاب الحبشة مستقبلا تجارياً إذا نظمت البحوث لدرس أنواعها وخواص كل صنف منها وفائدته الاقتصادية ، ثم العمل على تيسير وسائل نقله . وقد أمكننى بالاستعانة بأحد الفنيين أن أحصر ٩٧ نوعا من الخشب ، منها حوالى ١٥ نوعا يمكن استغلاله فى الأغراض الإنشائية المختلفة . وتستهلك الحبشة كميات هائلة من الأقمشة القطنية كانت ومازالت تستوردها من الهند واليابان ، وبالرغم من إنشاء مصنع نسيج فى دير يداوة والتوسع فى زراعة القطن هناك لسد حاجة هذا المصنع ، وللمصريين نصيب كبير فى إدارته ، فإن مصر تستطيع أن تسد بعض مطالب السوق الأثيوبى .

أما البترول فقد كشف الإيطاليون أثناء احتلالهم للحبشة عن بعض مناطق فى الأوجادين ، ذهبوا إلى أنهم وجدوا بها البترول ولكنهم احتفظوا

بسريتها . ولما كانت سنة ١٩٤٧ وقعت الحكومة الأثيوبية اتفاقا مع بعض الشركات الأمريكية ، أعطت فيه هذه الشركات امتياز التنقيب عن البترول فى منطقة الأوجادين أو فى أى جهة من أثيوبيا لمدة خمسين سنة .

وأخذت الشركات الأمريكية فى التنقيب . وفى ١٧ من مايو سنة ١٩٤٩ أدار الامبرطور آلة الحفر فى أول بئر للبترول تنقب عنها شركة سنكلر فى جبال « جبورا » فى منطقة الأوجادين . وفى مدى عشر سنوات حفرت الشركة سبع عشرة بئراً ومنها ما زاد عمقه على عشرة آلاف قدم وكلفها ذلك حوالى عشرة ملايين من الدولارات ولم تسفر النتيجة عن وجود أى أثر للبترول واضطرت الشركة أخيراً إلى إيقاف العمل كلية .

الجنس واللغـــة :

يطلق العلماء على الحبشة « متحف الشعوب » وذلك لتعدد الأجناس فيها ، وأهم العناصر التى تتكون منها أجناس الحبشة ثلاثة ، عنصر سامى ، وعنصر كوشى ، وعنصر أفريقى .

أما العنصر السامى فقد دخل البلاد من الشرق وأتى من جزيرة العرب . ويظهر أنه استمر فى دخول الحبشة عن طريقين : طريق الأريتريا وطريق السومال ، وكون هؤلاء الساميون لانفسهم قديما قوة فسلطانا فملكا . وهذا يعلل لنا الصلة القوية الطبيعية المستمرة بين شبه الجزيرة العربية وسواحل الحبشة على البحر الأحمر . وأهم العناصر السامية الآن : الامهرا والشعوب التى تتكلم التيجرى والتجرينيا والهررية والجوارجى ثم العرب .

أما العناصر الكوشية (الحامية) فقد دخلت الحبشة من الشمال والشمال الغربى ، أهمها الجالا والسومال والبجه والأجو والدنا كل والكافا .

أما العناصر الافريقية فأتت من الجنوب والجنوب الغربى وأظهرها البنتوو الشنقلا والولجا والباريه والكونامه . وعلى الرغم من اختلاط

الأجناس المختلفة فى أثيوبيا فان التمييز بين العناصر المختلفة من حيث الشكل سهل ميسور .

ولعل من اليسير أيضاً أن تتبين خصائص كل شعب وأخلاقه وعاداته . ويروى أهل أثيوبيا عن أهالى المقاطعات الثمان القديمة مايدل على أظهرما فى أخلاقهم : وفد على أثيوبيا ثمانية أشخاص : الحماقة وصلابه الرأى والانفة والحضارة والشجاعة والأمانة والبساطة والسياسة . فلما وصلوا إلى بلاد التيجرى قالت الحماقة : وجدت بلدى وسأستقر به ولما وصلوا إلى بلاد « سمين » قالت صلابة الرأى : «قد وجدت مكانى وسأمكث به . ولما وصلوا بلاد « وجارا » قالت الأنفة : قد وصلت إلى أملاكى وسأعيش فيها . ولما وصلت الحضارة إلى بلاد «جوندار» قالت : يأخوانى وجدت معسكرى وسأمكث فيه . وسار الأربعة الباقون فلما وصلوا إلى بلاد « بيجامدر » قالت الشجاعة سأستقر هنا فقد أعجبنى المكان . ولما بلغوا « دبرتابور » وقفت الأمانة على قمة الجبل ونظرت إلى بلاد « جوجام » وقالت : استأذن منكن لابحر إلى وطنى . وتابعت الاخيرتان السير إلى بلاد « أمهرا » . فقالت البساطة لاختها : سأقيم هنا ثم تركتها ، فسارت السياسة إلى أن استقرت بمقاطعة « شوا » وحكمت هناك » .

اللغـــة :

يتبع تعدد الأجناس تعدد اللغات فى الحبشة وقد تتفرع لغة الجنس الواحد إلى لهجات ، وهذه بدورها تتباعد عن الأصل مع مرور الزمن وتغير البيئة حتى تصبح لغة . والحبشة غنية بظواهرها اللغوية ، فان وضعها الجغرافى وسط حضارات مختلفة من سامية وكوشية ونيلية وبنتو وغيرها ، جعل منها بيئة صالحة للتطورات اللغوية .

وهناك ثلاث مجموعات من اللغات : السامية والكوشية والنيلية . أما اللغات السامية فأكثرها انتشارا بين العناصر السامية وغيرها ولم تكن اللغات

السامية هى اللغات المنتشرة فى الحبشة فقد قدم الساميون فى أول الألف الاول قبل الميلاد من جنوب جزيرة العرب وأن كنا لانعرف على وجه التحقيق من أين جاءوا ، ولكن مما لاشك فيه أنهم قدموا ومعهم أكثر من لهجة عربية جنوبية ومعها الابجدية بالخط المسند ومن هذه اللهجات العربية الجنوبية نشأت اللغات السامية فى الحبشة .

مجموعة اللغات السامية :

وقد عددت فى الحبشة منها ثمانى لغات مختلفة : الجعز والتيجرى والتيجرينيا والامهرى والجوراجى والهررى والأرجوبا والجافات والعربية .

والجعز (كما ينطقونها الآن الجيز ، إذ أن نطق العين سقط تحت تأثير اختلاط الساميين بغيرهم) وتسمى بالاثيوبية أو الحبشية القديمة . وهذه اللغة هى أقدم اللغات السامية فى الحبشة تاريخا ، وهى لغة الكنيسة إلى الآن . وأقدم ماوصل الينا منها نقوش بغير الحركات من القرن الثالث أو الرابع الميلادى ثم نقوش مع الحركات فيما بين القرن الرابع الميلادى والقرن التاسع الميلادى ، وكانت ترجمة الكتاب المقدس فيما بين القرنين الخامس والسابع الميلاديين . ولم تصل الينا إلى الآن أى نصوص أدبية من الفترة فيما بين القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر . وكان عصر أزدهار الأدب الحبشى فيما بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر . وكله أدب كنسى ، ومعظمه أن لم يكن كله مترجم عن الأدب القبطى أو القبطى العربى . والجعز فى تراكيبها ومعانى كلماتها أقرب ما تكون إلى اللغة العربية الفصحى . وقد بطل الكلام بها فيما بين القرنين العاشر والثانى عشر وحلت محلها اللغة الأمهرية فى الكلام لاسباب سياسية .

ولعل أقرب اللغات إلى الجعز لغة التيجرى ولغة التيجرينيا . أما لغة التيجرى (وتسمى أيضا هاسى) فهى منتشرة فى المناطق المنخفضة فى اريتريا : فى شرقها

وغربها وشمالها وكذلك فى منطقة مصوع وجزر الدهلك فى الشرق وتمتد فى الغرب إلى كسلا وفى هذه المناطق أيضا تنتشر بعض اللغات الكوشية .

وقد جمع بعض المستشرقين الكثير من الأدب الشعبى فى لغة التيجرى كما وصل الينا منها بعض الآداب المسيحية التى قامت بطبعها الارساليات السويدية البروتستانتية والارساليات الكاثوليكية .

ويبلغ عدد المتكلمين بها حوالى ربع المليون نسمة .

أما لغة التيجرينيا فهى منتشرة فى بعض جهات من اريتريا وفى شمال اثيوبيا فى مناطق حماسين وأكالى جوزاى وسراى وولكايت وتمبين والتيجرى وغيرها . ولقربها من مناطق اللغة الأمهرية فقد تأثرت بها ولم يصل الينا من أدبها الا ما طبع منه منذ أوائل هذا القرن ومعظمة دينى . ويتكلمها حوالى مليون ونصف نسمة .

أما اللغة الأمهرية فهى اللغة الرسمية فى أثيوبيا منذ القرن الثالث عشر الميلادى . وتمتد منطقة نفوذها شمالا إلى حدود منطقة المتكلمين بالتيجرينيا وجنوبا إلى صحراء الدناكل . وتقع فى منطقة نفوذ اللغة الأمهرية مناطق لغات سامية وكوشية أخرى . وأقدم ما وصل الينا مدونا باللغة الأمهرية يرجع إلى القرن الرابع عشر الميلادى . وقد استخدم البرتغاليون والايطاليون من المبشرين اللغة الأمهرية فى أواخر القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر لترويج عقيدتهم الكاثولكية . ولم يجد رجال الدين الحبشى بدا من الرد عليهم بالامهرية ، ومن ثم ترجم الكتاب المقدس بالتدريج إلى الامهرية وهكذا رفعت الأمهرية من لغة تخاطب ومراسلات إلى مصاف اللغات الأدبية . ويواجه الاحباش مشاكل لغوية كثيرة حتى يجعلوا هذه اللغة تساير الحضارة وقد نشروا فيها كتبا فى موضوعات مختلفة . ويبلغ عدد المتكلمين بها حوالى خمسة مليون نسمة .

أما لغة الجوراجى فهى لغة منطقة الجوراجى فى الجنوب الغربى من أديس أبابا ، يحدها من الشمال نهر أواش ومن الشرق بحيرة زواى ومن الجنوب الغربى نهر أومو . ولغة الجوراجى تنقسم إلى لهجات ولانزال فى أول معرفتنا بلغة الجوراجى مما لايتيح لنا الحكم على تقسيم لهجاتها وصلتها باللغات السامية الأخرى فى أثيوبيا ويظهر أن أهل «جوراجى» الحاليين قد أتوا من «سيدامو» من الجنوب، ثم أحتل الاقليم حامية من الشمال ، هذا يفسر لنا وجود عناصر من لغة السيد امو وعناصر أخرى من اللغات السامية الشمالية فى الحبشة فى لغة الجوراجى . وقد جمع بعض المستشرقين شيئا من قصص جوراجى وطبع المبشرون بهذه اللغة كتبا فى التعليم الدينى . ويتكلمها حوالى نصف مليون نسمة .

أما اللغة الهررية (وتسمى أيضا أدارى) فيتكلمها أهل مدينة هرر أما خارج مدينة هرر فيتكلم الناس الجالا والسومالى ولهذا كان لهاتين اللغتين أثر بالغ على اللغة الهررية وكذلك أثرت اللغة العربية على الهررية لأن اهلها من المسلمين . ولا يزال الكثير من الأدب الهررى مطويا ولم ينشر منه الا القليل وهو أدب دينى اسلامى، وهو مكتوب بالخط العربى .

وعدد المتكلمين بالهررية لايعدو الاربعين ألفا .

أما الأرجوبا فيتكلمها أهل منطقة «أنكوبار» شمالى أديس أبابا . وهى لغة قريبة من الأمهرية وأخذت تتلاشى وتحل محلها الأمهرية وليس لها أدب مكتوب . وأهلها من المسلمين ولايزيد عدد المتكلمين بها عن بضع مئات . وكانت لغه الارجوبا منتشرة جنوبى هرر أيضاً ولكنها ضاعت وحلت محلها الجالا .

أما لغة الجافات فكانت منتشرة فى الجزء الجنوبى من مقطعة جودجام فى منطقة النيل الأزرق . وقد أخذت هذه اللغة فى التراجع أمام الأمهرية ولم يبق

من المتكلمين بها الانفر قليل وقد وصل الينا منها مدونا بعض أسفار العهد القديم والتي ترجع ترجمتها عن الأمهرية إلى القرن الثامن عشر .

أما اللغة العربية فهى منتشرة على الشواطىء وفى الداخل وبخاصة فى المراكز التجارية وهى لهجات يمنية .

مجموعة اللغات الكوشية :

واللغات الكوشية فى أثيوبيا لم تدرس دراسة كافية وليس فيها أدب مدون الا بعض الاسفار من الكتاب المقدس نشرتها الارساليات المختلفة فى لغة أو أكثر من اللغات الكوشية . واللغات الكوشية تنتشر فى أثيوبيا من الشمال الغربى إلى كينيا فى الجنوب ، وهى من الشمال الى الجنوب :

البجة (أو بداوية) تنتشر فى اريتريا فى منطقة أجوردات وكيرين وتمتد فى السودان وبخاصة فى كسلا. ومن المتكلمين البجة فى اثيوبيا قبائل بنى عامر وعد عمر ، وفى السودان الهدندوة والبشارين ، وتتكلم معظم القبائل فى اريتريا اللغة التيجرى إلى جانب البجة . هذا ويبلغ عدد المتكلمين بها مائة وخمسين ألف نسمة .

الأجو : تنتشر فى منطقة كيرين باريتريا وفى مناطق مختلفة فى أثيوبيا حتى شمال النيل الأزرق . وقد بدأ كثير من لهجات الأجو فى الزوال ويتكلم معظم الأجو التيجرى أو التيجرينا أو الأمهرية ويبلغ عدد المتكلمين بها حوالى خمسين ألف نسمة .

ولهجات الأجو :

(أ) البيلين وتتكلمها قبائل البلين أوالبوجوس فى منطقة كيرين باريتريا .

(ب) خمير لغة قبائل الخامتا فى منطقة أبرجالى جنوبى تيجرى وفى اللاسته

وألواج من مناطق وسط أثيوبيا .

(ح) قوارا ويتكلمها القوارا والفلاشة على الشاطىء الغربى لبحيرة طانا.

(د) قيمنت ويتكلمها القيمنت على الشاطىء الشمالى لبحيرة طانا .

(هـ) كايلا ويتكلمها الفلاشة فى منطقة قيمنت .

(و) أويا وهى منتشرة فى منطقة الأجومدر وفى جنوبى جود چام .

(ز) بعض لهجات الأجو وهى منتشرة فى منطقة داموت وفى جودچام.

السهو . وهى منتشرة فى أريتريا وتمتد إلى أثيوبيا والسومال الفرنسى وتتكلمها قبائل الساهو فى اريتريا فى الجزء الشرقى من أكيلى جوزاى وفى جنوب منطقة مصوع وفى أثيوبيا فى منطقتى أيروب وأجامى . وعدد المتكلمين بها حوالى ثلاثين ألف نسمة .

العفر : وتسمى دناكل أو عدل وهى منتشرة فى أريتريا جنوبى الساهو وتمتد إلى شمال السومال الفرنسى وفى الزاوية الشمالية الشرقية من أثيوبيا وتمتد جنوبا إلى نهر أواش وعدد المتكلمين بها حوالى أربعين ألف نسمة . وتنقسم قبائل العفر إلى قسمين أدوهى مارا أى الناس البيض وأشاهى مارا أى الناس الحمر .

السومالى : وهى منتشرة فى السومال الفرنسى والسومال البريطانى وسومالىا السومال الإيطالى سابقا) وفى مقاطعة هرر فى أثيوبيا والاوجادين (السومال الاثيوبى) وفى جزء من شمال كينيا . وفى عدن جالية كبيرة تتكلم السومالى ، وتنقسم اللغة السومالية إلى ثلاث لهجات متباينة . وقد جمع المستشرقون منها بعض الآداب الشعبية ، كما ترجم المبشرون إليها بعض أسفار الكتاب المقدس وبعض كتب دينية ويربو عدد المتكلمين بالسومالى على اثنين مليون نسمة

الجالا : وتسمى أيضاً أورومو وهى لغة قبائل الجالا فى غربى هضبة

أثيوبيا بين النيل الأزرق شمالا وجوجب جنوبا وفى منطقة واسعة من مقاطعة شوا وفى جزء من وللو ، وفى المنطقة بين الجوراجي وسيدامو وداراسا وبين السومال، ومن شرق بحيرة ستيفانى جنوبا إلى شمال كينيا. ولغة الجالا تنقسم إلى عدة لهجات وهى موسيقية رقيقة على السمع ، فيها أدب شعبي كبير لم يدون ، وقد بدأ المستشرقون فى جمعه ونشره بالحروف اللاتينية كما ترجموا اليها الكتاب المقدس ونشروه بالحروف الحبشية . وهناك كثير من الالفاظ الدخيلة من الجالا فى اللغات الهررية والأمهرية والجوراجى ويبلغ عدد المتكلمين بها ما بين أثنين مليون ونصف وثلاثة ملايين نسمة .

السيدامو : وهى منتشرة فى جنوب غربى أثيوبيا ، وهى تنقسم إلى سبع لهجات ، وكانت أكثر أنتشاراً ولكن تضاءل عدد المتكلمين بها إلى حوالى مائه ألف نسمة .

جانجيرو : وهى منتشرة بين قبائل الجانجيرو أوكما يسمون أنفسهم «يمه» وذلك فى المنطقة الواقعة بين الجيبى وأعالى نهر أومو فى الغرب من هديه وكمباته ، ولا نعرف عدد المتكلمين بها .

الأوميتو : يتكلمها سكان المنطقة الواقعة فى حوض الأمو الأوسط حتى بحيرة مرجريت، وهى تنقسم إلى خمس عشرة لهجة ولاتزال الأوميتو فى دور الدراسة ولا نعرف عدد المتكلمين بها .

الكافا : تنتشر فى غرب أثيوبيا وجنوبها الغربى، وقد دخلت هذه اللغة مع فاتحين من الشمال فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وهى تنقسم إلى خمس لهجات أهمها المخا والشيناشا ، ولا نعرف عدد المتكلمين بها .

الجيميرا : وهى منتشرة جنوبى مخا وكافا وتنقسم إلى ست لهجات ويبلغ عدد المتكلمين بها عشرة آلاف .

كونزو ـ جيليبا : أو بورجى جيليبا ، وهى مجموعة من اللغات الكوشية التى نعرف عنها القليل، تنتشر فى جنوب غربى اثيوبيا فى منطقة بحيرات رودلف وستيفانى وشامو ، وتشتمل على الكونزو جنوب بحيرة شامو ، وجيليبا شمال بحيرة رودلف ، وإربورى شمال بحيرة ستيفانى ، وبورجى جنوب بحيرة شامو .

مجموعة اللغات النيلية :

واللغات النيلية فى أثيوبيا تنتشر فى جنوبها وغربها ومعلوماتنا عنها ضئيلة، ومعظمها ينتمى إلى مجموعة اللغات النيلية ، ومنها مالم يبت فى تبعيته إلى الآن

ونذكر أهم هذه اللغات متجهين من الشمال إلى الجنوب :

الباريه : وتتكلمها قبيلة الباريه فى الاريتريا وهى تسكن أحواض أميدب ومجارب ومارب والشاطىء الايسر لبركه ، وكانوا قديما ينتشرون فى منطقة واسعة حتى أن نهر عطبرة أخذ أسمه منهم (عط أى نهر ، بره أى باريه) ويتكلمها الآن حوالى خمسة عشر ألف نسمة .

كونامه :وتتكلمها قبيلة كونامه أو بازن فى اريتريا ، بين نهر برايه شمالا وتكازى جنوبا ، وتمتد غربا إلى حدود السودان وجنوبا إلى أثيوبيا ، ويتكلمها حوالى ثلاثين ألف نسمة .

بيرته : تتكلمها قبيلة بيرته على جانبى حدود السودان وأثيوبيا ، وتمتد حتى ملتقى الديديسة بالنيل الأزرق شرقا ونهر بابور جنوباً . ولا نعرف عدد المتكلمين بها .

كومه : تنتشر على جانبى حدود السودان وأثيوبيا وهى مجموعة من اللغات: منها فى أثيوبيا لغة « جوموز » تنتشر غرب بيرته وتمتد شمالا إلى نهر جندوه وجنوباً الى النيل الأزرق ، و « كومه » بلهجتيها، وتنتشر فى شمال نهر

بأبوس وجنوبيه وفى جنوب نهر جوكاو ، و « ماو » وتنتشر على الشاطىء الأيسر لنهر دابوس ، ولا نعرف عدد المتكلمين بها .

أنواك : تنتشر فى السودان وأثيوبيا على الشاطىء الأيمن لنهر أكوبو وعلى نهر بارو ، ويتكلمها داخل الحدود الأثيوبية حوالى ثلاثين ألف نسمة .

ديدينجه — مورلى : وهى مجموعة من اللغات التى تنتشر على جانبى الحدود السودانية الأثيوبية ، ومنها داخل الحدود الأثيوبية « ماسونجو » وتنتشر فى منطقة تقع بين نهر بارو شمالا وبين نهر باكو جنوباً ، ومنطقة مخا شرقا والأنوك غرباً ، «ومورلى» على نهر الأومو ، و «ميكان» فى المنطقة التى تشبه حدوة الحصان والتى تفصل «ماجى» من «جميرة» وتمتد شرقاً إلى حوض الأومو . ولا نعرف عدد المتكلمين بها .

الباكو : تنتشر شرقى الأومو وهى تنقسم إلى ست لهجات ولا نعرف عدد المتكلمين بها .

* * *

وهذا العدد الكبير من اللغات فى أثيوبيا سبب من أسباب تعويق وحدتها الثقافيه ، وتعد الآن اللغة الأمهرية أهم لغات أثيوبيا شأناً ، وأكثرها انتشاراً ، وهى اللغة الرسمية للدولة ، وقد اهتمت الحكومة الاثيوبية أخيراً بأن تعمم استخدامها فى جميع مناطق أثيوبيا ، فان توحيد لغة الكتابة أول مظهر من مظاهر القومية . وليس معنى هذا أن يقضى على اللغات الأخرى فان صاحب اللغة يعتز بها ولا يمنعه ذلك من أن تكون له لغة أدبية موحدة .

الكتابة

أخذ الأثيوبيون الخط المسند من بلاد العرب الجنوبية فى عصر لا نعرفه وكانت أبجديته تكتب بالحرف الصامت دون الحركة واتجهوا فى كتابتها إلى التدوير بعد أن كانت تكتب فى المسند بزوايا قائمة وخطوط رأسية على شكل عمد أو سند مما دعا العرب إلى تسميته بالخط المسند . وكتب الأثيوبيون خطهم بالصامت دون الحركات أيضاً ، وقد وصلت إلينا نقوش بلغة الجعز من القرون الأولى بعد الميلاد مكتوبة بهذا الخط فى ستة وعشرين حرفا ، وفى القرن الخامس الميلادى وفق أحد الأحباش إلى اختراع حركات تلصق بالحرف الصامت وخرج من ذلك بسبع حركات اعتبر الشكل الأساسى للحرف حركة الفتحة والثانى الضمة والثالث الكسرة والرابع الفتحة الممدودة والخامس الإمالة الطويلة والسادس الإمالة القصيرة أو السكون والسابع الضمة المشبعة ، وأضاف أشكال مختلفة على القاف والخاء والكاف والجيم لتعبر على خمسة أصوات للحركات المركبة التى تدخل على هذه الأحرف الأربعة .

ومنذ ذلك الوقت كتبت اللغة الجعز بهذه الأبجدية ، ولما كان القرن الرابع عشر وأخذت اللغة الأمهرية بهذا الخط وزادت عليه سبعة حروف لتؤدى الأصوات التى تزيد فيها عن اللغة الجعز .

الحضارة

لمحة فى تاريخ الحبشة .

كانت الحبشة منذ أقدم الأزمنة سوقاً تجارية هامة ، فقد كانت مورداً لا ينضب لعدد كبير من الرقيق الذى كان مطلباً من أهم مطالب الدول القوية القديمة ، كما كانت غنية بالأخشاب والتوابل وسن الفيل والجلود ، وكلها

مواد مرغوب فيها تتحمل الرحلات الطويلة التى هى ميزة التجارة فى العصور القديمة . ولذا ظلت الحبشة مقصداً لكثير من تجار الأمم القديمة ، فازدهرت موانيها التى كانت على البحر الأحمر وحمل التجار العرب منتجاتها إلى طالبيها .

ولقد كانت مكة ويثرب مركزين هامين من مراكز التجارة يقعان فى الطريق الذى يؤدى إلى الدولة الرومانية الشرقية ، كما كانت اليمن وحضرموت تؤديان الى الدولة الفارسية .

وفى سبيل تأمين هذه التجارة والطرق التى تسلكها ، غزت الحبشة بلاد اليمن قبل الإسلام وبسطت عليها سلطتها ، وإذا كان اضطهاد ذى نواس اليهودى لنصارى نجران ، وطلب هؤلاء المسيحيين النجدة من امبراطور الدولة الرومانية الشرقية ، ثم من ملك الحبشة ، هو السبب الظاهر لغزوة الحبشة لهذه البلاد ، فقد يكون السببان : الدينى وهو نجدة المسيحيين ، والاقتصادى ، وهو الرغبة فى حماية الطرق التجارية ، قد سارا جنباً إلى جنب فى قيام الحملة ونجاحها .

ولأجل تأمين هذه الطرق التجارية أيضا حاولت الحبشة غزو مكة ، إلا أن ما وقع لجيوشها من مرض أعقبته هزيمة فوت عليها غرضها وأطمع فيها الدولة الفارسية ، فساعدت على إخراجها من الجزيرة العربية ، وأعقب ذلك خروج هذه الأسواق من يد الحبشة ووراثة الفرس لها .

ولقد أدى وقوع الحبشة على البحر الأحمر ، ووجود الدولة الرومانية الشرقية فى فلسطين ومصر ، وكذلك اعتناق كل من الدولتين للديانة المسيحية وللمذهب الشرقى إلى ارتباطهما معاً برباط من المودة الوثيقة ، حتى أن غزوة الحبشة لجنوب شبه الجزيرة لم تتم إلا بالمساعدة البحرية من الدولة الرومانية الشرقية ، ولذا كان البحر الأحمر بينهما بحيرة حبشية رومانية .

ولقد كان ظهور الاسلام ضربة قوية لكل من الدولة الرومانية الشرقية والحبشة . فقد خرجت من يد الأولى الشام وفلسطين ومصر فحرمت من أن تطل على البحر الأحمر ، وحرمت الحبشة من هذا الحليف القوى الذى كان يمدها وقت الحاجة بالمعونة الحربية والثقافية والدينية . وكان تبادلهما التجارى ذا منفعة لكليهما وكذلك حرمت الحبشة من عميل غنى هو الدولة الفارسية ولن تستطيع الدولة الاسلامية الناشئة ، المحدودة المطالب ، أن تعوضها عنه .

فلا غرابة إذن إذا بدأ الضعف يدب فى الحبشة عقب ظهور الاسلام بقليل ، وأخذت سلطة الملوك فى الانكماش ، وبخاصة عن الأجزاء البعيدة ومنها المنطقة الساحلية التى كانت تطل على البحر الأحمر ، وأخذت ترثه منها طوائف من العرب المسلمين المهاجرين إليها والفارين من سلطة الخلفاء الأمويين والعباسيين ، الذين جدوا فى مطاردة أعدائهم وإرغامهم على الهجرة إلى حيث يكونون بعيدين عن أيديهم .

وعلى يد هؤلاء القادمين الجدد ، ومن اختلط بهم من الأحباش ، استعاد البحر الأحمر نشاطه القديم وازدهرت التجارة فيه مرة أخرى ، وبخاصة تجارة الرقيق .

ولقد ظلت الحبشة مدة طويلة وهى لاتحاول أو لاتستطيع أن تخرج من هذه العزلة قانعة بأن تسد مطالب الشعب المحدودة بما تنتجه البلاد من منتجات محدودة .

وبالرغم من هذه الحالة السيئة فقد ظلت هناك علاقة واحدة مستمرة لايعتورها الانقطاع ، وهى علاقتها بمصر ، رغم ما كان يصيبها فى بعض الأحيان من ضعف .

فقد كانت الحبشة تتبع مصر دينياً منذ أن دخلتها المسيحية فى القرن الرابع الميلادى ، فبطريرك الاقباط هو الذى يرسل إلى الحبشة مطرانها

الذى هو رأس كنيستها ورئيس هيئتها الدينيـة كلهـا ، وهو الذى يتوج الأمبراطور ، وهو الذى يعين القسس المنتشرين جميع أنحاء البلاد . وهؤلاء هم الذين يعمدون أولادهم ويعقدون زواجهم ويصلون على موتاهم ويفقهونهم فى الحلال والحرام من حياتهم المدنية .

ولكن الاضطراب كثيراً ما كان يعتور هذه العلاقات لأسباب مختلفة ، واستمرت حالة الاضطراب أكثر من خمسة قرون .

ولم يكد الأمبراطور «يوكونو أملاك» أول ملوك الأسرة السليمانية يعتلى العرش عام ١٢٧٠ حتى أخذ فى إصلاح هذه الحالة وإعادة الاطمئنان إلى حياة الأهالى ، وحاول أن يعيد إلى الأمبراطور بعض سلطته التى كان قد تقاسمها الأمراء والملوك المحليون ، وأن يعيد سلطة الامبراطور إلى الاجزاء الساحلية التى تطل بها الحبشة على العـــالم الخارجى ، فأقام على الولايات الإسلامية التى تكونت فى شرق الحبشة من المسلمين المهاجرين ومن الاحباش الذين اعتنقوا الاسلام ، حكاماً مسلمين خاضعين له يكونون واسطة بينه وبين الاهالى ، فكان «عمر ولسمع» أول وال مسلم أقامه حاكما لولاية «إيفات» فى أواخر القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) .

ولم يقف عند هذا الحد بل سرعان ماتبين أن مستقبل الحبشة يتوقف على العودة إلى السياسة القديمة ، وهى سياسة الاتصال بالخارج فبدأ بالاتصال الروحى التقليدى الذى كان يربط الحبشة بمصر ، فأرسل إلى السلطان «بيبرس البندقدارى» يطلب منه أن يأذن للبطريرك المصرى فى تعيين مطران للحبشة .

وسار جميع أباطرة الحبشة من بعده على نفس السياسة .

وبينما كانت المحاولات تبذل فى الحبشة للاتصال بالخارج كانت هناك محاولات أخرى تبذل من الخارج للاتصال بالحبشة ، فلم يكد الأمير «هنرى

الملاح » يعين حاكما على مدينة « سبته » حتى سمع من أفواه التجار الذين يفدون إلى مدينته أن هناك مملكة مسيحية سوداء يحكمها ملك مسيحى أسود تكمن وراء الصحراء الكبرى ، فخطرت له فكرة الاتصال بهذه المملكة المسيحية ليؤسس معها علاقات دينية وتجارية ، وبدأت بذلك محاولات البرتغال لاكتشاف ساحل أفريقيا الغربى ، وهى المحاولات التى استمرت حتى أدت إلى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ، وإلى تأسيس الأمبراطورية البرتغالية فى الهند ، وكان هذا بدء مرحلة جديدة أيضاً بالنسبة لتاريخ الحبشة وعلاقتها بالدول الأجنبية .

وظلت الحبشة على سياسة اتصالها بالخارج حين يزدهر العصر ، وتنطوى على نفسها حين يضعف الحاكم أو تضطرب الأحوال .

علاقة الحبشة باليمن :

علاقة الحبشة باليمن موغلة فى القدم ، ولا غرابة فى ذلك فهما تواجهان بعضهما ولا يفصل بينهما إلا البحر الأحمر الهادىء الضيق ، فقيام علاقات بينهما أمر طبيعى ، وهجرة اليمنيين إلى الحبشة والأحباش إلى اليمن أمر طبيعى كذلك .

فاليمن بلد زراعى يحتاج إلى الأيدى العاملة الرخيصة ، ولن تجد هذه الأيدى إلا فى رقيق الحبشة ، ولذا أينعت تجارة الرقيق منذ أقدم الأزمنة ، واشترك فى هذه التجارة وأقامها وعمل على انتشارها التجار اليمنيين الذين اتخذوا من ساحل الحبشة الشرقى موطناً لهم منذ القدم ، حتى إذا زرت السواحل الشرقية للحبشة فى الوقت الحاضر فلن تجد التجار الذين قبضوا على على ناصية التجارة ، وكونوا لهم المراكز التجارية والبيوت التجارية الناجحة إلا يمنيين أو حضارمة .

وتعود الأساطير الحبشية إلى علاقة الحبشة باليمن إلى أيام ممعنة فى القدم.

وتظهر لنا هذه العلاقة من النصوص التاريخية التى كتبت باليونانية أو السبأية منذ القرن الأول الميلادى ، حينما كانت الحبشة تطل على البحر الأحمر بثغر « عدول » ، وتتاجر مع البلاد التى تطل على هذا البحر . وقد كانت هذه التجارة دليلا على قوة ملوك « أكسوم » التى أخذت فى الظهور بعد انحلال مملكة « نباتا » فى أواخر القرن الأول قبل الميلاد .

ثم تذكر لنا النقوش السبأية والحبشية مدى ما وصل إليه ملوك الحبشة من قوة وما وصل اليه الشعب من انتعاش ، وذلك فى القرنين الرابع والخامس وأن الحبشة كانت تسيطر فى ذلك الوقت على مدخل البحر الأحمر الجنوبى ، وعلى كل من البلاد التى تقع على ضفتى هذا البحر .

واستمر اتصال الحبشة باليمن فى العصور التالية تتصف بصفات مختلفة : إما السلم وإما السيطرة وإما الحرب وإما التجارة .

الفن

الفنون فى الحبشة قديمة مرت بعصور مختلفة وتأثرت بمؤثرات متباينة ، منها ماهو حبشى أصلا لا يمكننا أن نتتبع تاريخه ، ولا نتبينه بموازنته بفنون مماثلة ، ومنها ماوصل إليه من الحضارات المجاورة مثل اليمن ، وبخاصة فى فن النحت ، أو مصر وبخاصة فى فن التصوير ، ومنها ما دخل عليه من الفن المسيحى البيزنطى والقبطى والسورى والعراقى ولا سيما الفن الشعبى فى الأقاليم الرومانية .

وقد وجد الفن الحبشى — على اختلاف أنواعه — فى النهاية طريقه بعد أن تأثر بكل هذه المؤثرات ، واحتفظ بتقاليده طول العصور التى مر بها ، يزدهر حيناً ، وينحط حيناً .

الكنيسة

دخلت المسيحية أثيوبيا على يد « فرومنتيوس » فى القرن الرابع الميلادى حين رست السفينة فى ميناء عدول ، فأمكنه أن يدخل المسيحية فى المراكز التجارية أولا حيث يكثر الأجانب من مصريين ويونانيين نزحوا من مصر، ثم عاد فرومنتيوس إلى مصر حيث رسمه البطريرك القبطى اثناسيوس مطرانا على الحبشة . واستمر بطاركه القبط يرسمون مطران الحبشة من المصريين . وكان المطران القبطى فى الحبشة يتمتع بمركز ممتاز حافظ عليه فى جميع العصور التاريخية وهو بمجرد وصوله يأخذ الجنسية الاثيوبية ، ولم نسمع فى التاريخ أن أحد من المطارنة تدخل فى سياسة البلد الداخلية أو كان له مطمع مالى أو سياسى ، وأن حدث أحيانا كان رائده فى ذلك مصلحة الاحباش . مثال ذلك ماحدث عندما خلع المطران القبطى الامبراطور «ليج ياسو» عام ١٩١٧ وولى مكانه الامبراطورة « زوديتو» وكذلك رفض آخر مطران قبطى على الحبشة انفصال الكنيسة الاثيوبية عن الكنيسة المصرية تحت وعود الطليان ثم تهديدهم . وقد اضطر الطليان أمام هذا الموقف المشرف أن يتحملوا تبعة فصل الكنيسة الاثيوبية عن المصرية فصلا تاما ، فاصدروا قانوناً بفصلها ونصبوا عليها بطريركا من أهلها . ولما عاد الأمبراطور ، أعاد الكنيسة وضعها السابق .

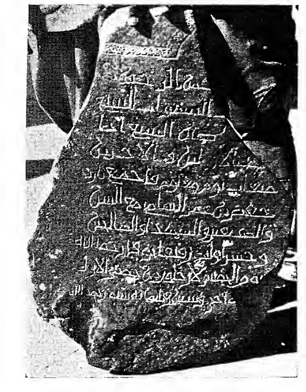
ولكن الاحباش بعد أن استردوا أثيوبيا من يد الطليان ظهر فيهم وعى قوى عم نواحى النشاط المختلفه . ورأى الأحباش فى القرن الحالى ماتقوم به الأرساليات الأجنبية من جهود فى الحبشة من أنشاء المدارس إلى فتح المستشفيات إلى غير ذلك ، ثم اذا هم قارنوا ذلك بما تقوم به كنيستهم للمساهمة فى التعليم والنهوض بمستوى الشعب أو ما تتخذه من وسائل للحد من انتشار التبشير . وجدوا أن مالهم فى ذلك جهدا لا يذكر ، وأحيا فيهم النزعه الاستقلالية . فبدءوا ينظرون بعين النقد إلى كنيستهم . وقد دافع

رجال الدين عن أنفسهم بأن ركزوا كل لومهم فى المطران القبطى الذى يمثل الكنيسة المصرية هناك ، وظنوا أن هم طالبوا الكنيسة المصرية بأن تسمح لهم برسامة مطران منهم وأساقفة من بينهم ، أمكنهم بذلك أن يستقلوا بكنيستهم استقلالا ذاتيا تحت إشراف الكنيسة المصرية . ويؤهلهم هذا أن يرتقوا بكنيستهم إلى مصاف الكنائس الأخرى حتى يمكنهم أن يدرءوا عنها الخطر .

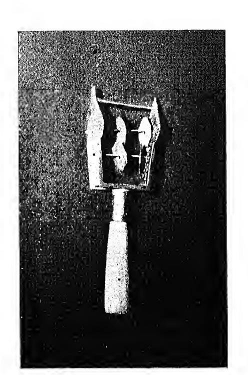
ورأت الكنيسة المصرية أن تسوى هذه المسألة فرسمت لهم أساقفة من الأحباش ثم رسمت لهم مطرانا حبشيا بعد موت المطران القبطى واتفقت أن يقيم أحد رجال الدين من الاقباط فى الحبشة ليكون حلقة اتصال بين الكنيستين . وعادت الكنيسة الاثيوبية سيرتها الأولى مع الكنيسة المصرية وظلت مسألة واحدة معلقة وهى كيفية اشتراك الكنيسة الاثيوبية فى انتخاب البطريرك . ولما توفى البطريرك ووضعت لائحة لانتخاب البطريرك الجديد ، طالبت الكنيسة الاثيوبية بالاشتراك الفعلى فى الانتخاب ولما لم تمكن من ذلك رفضت الاشتراك فى انتخاب البطريرك اشتراكا رمزيا وعرضت على الكنيسة القبطية أنها على استعداد أن تعترف بالرئاسة الدينية وتبعية الكنيسة لبابا الاسكندرية الذى يكون مصريا على الدوام وذلك إذا وافقت الكنيسة القبطية على رفع درجة مطران أثيوبيا إلى درجة البطريركية وتكون رسامته دائماً على يد البابا المصرى فى الاسكندرية وأن يمنح البطريرك الاثيوبى حق رسامة أساقفة ومطارنة لاثيوبيا وعرضت هـــذه المسألة للدراسة فى المجمع المقدس للكرازة المرقسية برئاسة البابا الحالى كيرلس السادس وهو المائة والسادس عشر فى عـــدد بطاركة الاسكندرية فأقر الأحباش على وجهة نظرهم ونصب لهم بطريركاً اثيوبيا وذلك فى شهر يوليه من سنة ١٩٥٩ .



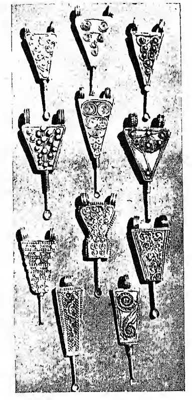
(شكل ١) تمثال لمعبود وجد سنة ١٩٥٤ فى أزبى ديرا بأثيوبيا وهو محفوظ الآن بمتحف أديس ابابا ، يدل على الصلات الوثيقة بين أثيوبيا واليمن ، من القرن الخامس قبل الميلاد .



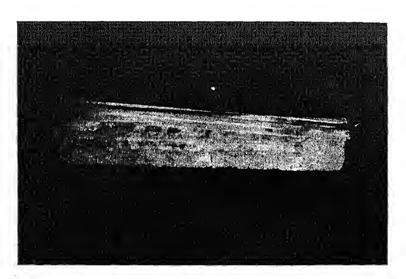
(شكل ٢) شاهد قبر عثر عليـه بالقرب من ماقالى من القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) .



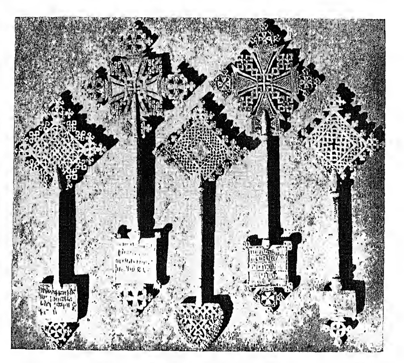
(شكل ٣)
الصناصل (السيستزم) يشبه سيستزم إيزيس المعروف ولا يزال يستخدم فى الكنيسة الأثيوبية وهو من النحاس .



(شكل ٤)
أداة لتنظيف الأذن من الفضـــة ، وهى على أشكال مختلفة .



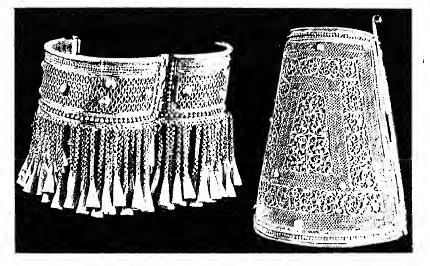
(شكل ٥) عمود من الملح الجبلى لا يزال يستخدم فى بعض جهات أثيوبيا للتعامل النقدى ويسمى أمولى (عملة) ويساوى تقريباً خمسة عشر قرشا. ويمكن تقسيمه الى نصفين أو أربعة.



(شكل ٦) صلبان من الفضة على أشكال مختلفة.

Nome delle lettere		Pronunzia	I ghèz		II caèb		III salès		IV rabè		V hamès		VI sadès		VII sabè	
ሀሌታ፡	*Halletà*	aspirata	ሀ	ha	ሁ	hu	ሂ	hi	ሃ	ha	ሄ	iè	ህ	hè	ሆ	ho
ለው፡	*Leu*		ለ	le	ሉ	lu	ሊ	li	ላ	la	ሌ	liè	ል	lè	ሎ	lo
ሐመር፡	*Hamer*	più aspirata	ሐ	ha	ሑ	hu	ሒ	hi	ሓ	ha	ሔ	hiè	ሕ	hè	ሖ	ho
ማይ፡	*Mai*		መ	me	ሙ	mu	ሚ	mi	ማ	ma	ሜ	miè	ም	mè	ሞ	mo
ንጉሥ፡	*Negus*	aspra	ሠ	se	ሡ	su	ሢ	si	ሣ	ša	ሤ	siè	ሥ	sè	ሦ	so
ርእስ፡	*Rees*		ረ	re	ሩ	ru	ሪ	ri	ራ	ra	ሬ	riè	ር	rè	ሮ	ro
እሳት፡	*Esat*		ሰ	se	ሱ	su	ሲ	si	ሳ	sa	ሴ	siè	ስ	sè	ሶ	so
ቆፍ፡	*Ccof*	col palato	ቀ	cche	ቁ	ccu	ቂ	cchi	ቃ	cca	ቄ	cchè	ቅ	cchè	ቆ	cco
ቤት፡	*Biet*		በ	be	ቡ	bu	ቢ	bi	ባ	ba	ቤ	biè	ብ	bè	ቦ	bo
ተው፡	*Teu*		ተ	te	ቱ	tu	ቲ	ti	ታ	ta	ቴ	tiè	ት	tè	ቶ	to
ብዙኃን፡	*Bezuhan*	aspiratissima	ኀ	ha	ኁ	hu	ኂ	hi	ኃ	ha	ኄ	hiè	ኅ	hè	ኆ	ho
ነሃስ፡	*Nehas*		ነ	ne	ኑ	nu	ኒ	ni	ና	na	ኔ	niè	ን	nè	ኖ	no
አሌፍ፡	*Alief*	dolc. gutturale	አ	a	ኡ	u	ኢ	i	ኣ	a	ኤ	iè	እ	è	ኦ	o
ካፍ፡	*Caf*		ከ	che	ኩ	cu	ኪ	chi	ካ	ca	ኬ	chiè	ክ	chè	ኮ	co
ወዌ፡	*Ueie*		ወ	uè	ዉ	uu	ዊ	ui	ዋ	ua	ዌ	uiè	ው	uè	ዎ	uo
ዓይን፡	*Ain*	gutturale	ዐ	a	ዑ	u	ዒ	i	ዓ	a	ዔ	iè	ዕ	èi	ዖ	o
ዘይ፡	*Zei*		ዘ	ze	ዙ	zu	ዚ	zi	ዛ	za	ዜ	ziè	ዝ	zè	ዞ	zo
የማን፡	*Ieman*	j in Jesus	የ	ie	ዩ	iu	ዪ	ii	ያ	ia	ዬ	iiè	ይ	iè	ዮ	io
ደንት፡	*Dent*		ደ	de	ዱ	du	ዲ	di	ዳ	da	ዴ	diè	ድ	dè	ዶ	do
ጋሜል፡	*Gamiel*		ገ	ghe	ጉ	gu	ጊ	ghi	ጋ	ga	ጌ	ghiè	ግ	ghè	ጎ	go
ጠይት፡	*Tteit*	linguale	ጠ	tte	ጡ	ttu	ጢ	tti	ጣ	tta	ጤ	ttiè	ጥ	ttè	ጦ	tto
ጰይት፡	*Ppeit*	forte labiale	ጰ	ppe	ጱ	ppu	ጲ	ppi	ጳ	ppa	ጴ	ppiè	ጵ	ppè	ጶ	ppo
ጸሎት፡	*Tzelot*	z in bellezza	ጸ	tze	ጹ	tzu	ጺ	tsi	ጻ	tza	ጼ	tziè	ጽ	tzè	ጾ	tzo
ፀሓይ፡	*Tzehai*	idem	ፀ	tze	ፁ	tzu	ፂ	tsi	ፃ	tza	ፄ	tziè	ፅ	tzè	ፆ	tzo
አፍ፡	*Af*		ፈ	fe	ፉ	fu	ፊ	fi	ፋ	fa	ፌ	fiè	ፍ	fè	ፎ	fo
ፓ፡	*Pa*		ፐ	pe	ፑ	pu	ፒ	pi	ፓ	pa	ፔ	piè	ፕ	pè	ፖ	po

(شكل ٧) الأبجدية الحبشية القديمة مع الحركات .



(شكل ٨) سواران من الفضة ، من القرن التاسع عشر محفوظان بمتحف الانسان فى باريس .